سلسلة أعمال القلوب (٣)

الغفلة

ح مجموعة زاد للنشر ١٤٣٠ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المنجد ، محمد صالح

الغفلة ، محمد صالح المنجد – الخبر ١٤٣٠هـ

٦٢ ص ، ١٢×١٧ سم

ردمك : ٢-١٣-٨٠٤٧-٦٠٣-٩٧٨

١- الوعظ والإرشاد أ. العنوان

ديوي : ٢١٣ ١٤٣٠/٤٠٤٨

الطبعة الأولى

١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م





سلسلة أعمال القلوب (٣)

الغفلة



١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فإن الغفلة داء عظيم، إذا سيطر على أحد باء بخسارة الدارين يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [الحشر: ١٩].

فما الغفلة ؟ وما الموقف الشرعي منها ؟ وما أنواعها وأقسامها؟ وما أسبابها؟ وما علاجها؟.

ذلك ما ستراه مسطوراً في ثنايا هذا الكتاب، وأشكر كل من ساهم في إعداد هذه المادة وإخراجها بالصورة المرضية.

نسأل الله أن يوقظنا من غفلتنا، وأن يغفر ذنوبنا.



تعريف الغفلة

الغفلة لغة: مصدر غفل يغفل غفلة وغفولاً، يقول ابن فارس: (الغين والفاء واللام أصل صحيح يدل على ترك الشيء سهواً، وربما كان عن عمد)[(١)].

وقال الفيومي: (الغفلة غيبة الشيء عن بال الإنسان وعدم تذكره له، وقد استعمل فيمن تركه إهمالاً وإعراضاً كما في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١])[(٢)].

الغفلة اصطلاحاً: فقد الشعور بما حقه أن يشعر به[(٣)].

وعرفها الراغب الأصفهاني بأنها: (سهو يعتري الإنسان من قلة التحفظ والتيقظ)[(٤)].

وعرفها الجرجاني بأنها: (متابعة النفس على ما تشتهيه)[(٥)].

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٤/ ٣١١)، مادة: غفل.
(٢) المصباح المنير (٢/ ٤٤٩).
(٣) فيض القدير (١/ ٢٦٢).
(٤) مفردات غريب القرآن (٢/ ١٥٦).
(٥) التعريفات (٢٠٩).

الموقف الشرعي من الغفلة

ذم الله تعالى الغفلة، وحذر من الغافلين، وحذر نبيه أن يكون معهم ومنهم، فقال: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

وقد نهى الله عَزَّ وَجَلَّ عن مصاحبة الغافلين، فقال: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨].

وذم الله أقواماً لغفلتهم، فقال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [الروم: ٧].

والغافلون منهم كافرون، كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ في كتابه: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْآخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴾ [النحل: ١٠٦-١٠٨].

والويل كل الويل لمن غَفِل حتى قُضِي الأمر وخسر، قال تعالى: ﴿ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [مريم: ٣٩].

وقد قرأ النبي ﷺ هذه الآية حينما ذكر لأصحابه ذبح الموت، عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ، فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَشْرَئِبُّونَ، وَيَنْظُرُونَ، وَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ. وَيُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ، هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالَ: فَيَشْرَئِبُّونَ، وَيَنْظُرُونَ، وَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ. قَالَ: فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ. قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتٌ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتٌ». قال: ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [مريم: ٣٩]، وأشار بيده إلى الدنيا[١].

(١) رواه البخاري(٤٧٣٠) ومسلم (٢٨٤٩) واللفظ لمسلم.

أنواع الغفلة

الغفلة على نوعين:

غفلة محمودة، وغفلة مذمومة.

الغفلة المحمودة:

هي الغفلة عن المعاصي والمنكرات، وعن كل ما لا يرضاه الله سبحانه وتعالى، وهذه هي التي وَصَف بها سبحانه العفيفات من النساء، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ٢٣].

والمراد بالغافلات: هن اللاتي غفلن عن الفاحشة، فلا تخطر ببالهن، ولا يفْطُنَّ إليها.

الغفلة المذمومة:

هي الغفلة عن الله وطاعته وذكره، وعن الدار الآخرة والحساب والجزاء، وهي الغفلة التي نريد أن نتحدث عنها.

أقسام الغفلة المذمومة

لقد صدق الله عَزَّ وَجَلَّ عندما وصف أكثر الخلق بأنهم غافلون، فقال سبحانه: ﴿ ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ﴾ [الأنبياء: ١].

وللغفلة المذمومة ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الغفلة العارضة:

فقد تعرض الغفلة للصالحين من الناس في بعض الأوقات، وهؤلاء الصالحون غفلتهم يسيرة سريعة، سرعان ما يتنبهون لها، ويتذكرون الجزاء والحساب، فيتوبون منها، ويتراجعون عنها، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

القسم الثاني: الغفلة المتكررة:

وهي الغفلة التي يعيشها العصاة والفاسقون من المسلمين حال عصيانهم، قلت معصيتهم أم كثرت.

فتراهم يغفلون أحياناً، ويستيقظون أحياناً.

يكونون في حالة ينسون فيها أنفسهم.. ثم يتذكرون في حالةٍ أخرى.

وهؤلاء لابُدَّ من تذكيرهم في كل حينٍ.. حتى يلتزموا الطريق المستقيم والصراط السوي.

القسم الثالث: الغفلة التامة:

وهي الغفلة التي يعيشها الكفار، فإنهم في غفلة تامة عن الله والدار الآخرة، حتى كأنهم بهائم لا يدرون لماذا خلقوا؟ ولا لأجل أي شيء يعيشوا؟، قال تعالى: ﴿ **وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَـٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ** ﴾ [محمد: ١٢].

بل إنهم في غفلتهم كأنهم سكارى لا يعون ما حولهم، ولا يفقهون ما يُقال لهم، قال تعالى: ﴿ **لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ** ﴾ [الحجر: ٧٢].

وهؤلاء الكفار إخراجهم من غفلتهم يكون بدعوتهم إلى دين الإسلام، ومحاولة إدخالهم في هذه الملة.

أسباب الغفلة

١ـ السعي خلف راحة الجسم:

كثيرٌ من الناس يسعى لإراحة جسمه في غالب نهاره وليله، ولم يعلم أن الراحة التي يبحث عنها هي سبب التعب والخسران، والراحة الحقيقية إنما تكون في إتعاب النفس بالفضائل الإيمانية، والأخلاق الإسلامية.

يَا مُتْعِبَ الجِسْمِ كَمْ تَسْعَى لِرَاحَتِهِ
أَتْعَبْتَ جِسْمَكَ فِيمَا فِيهِ خُسْرَانُ
أَقْبِلْ عَلَى الرُّوحِ وَاسْتَكْمِلْ فَضَائِلَهَا
فَأَنْتَ بِالرُّوحِ لَا بِالجِسْمِ إِنْسَانُ

٢ـ الحرص على لذات الحياة الدنيا:

إن الحرص على المتعة واللذة من أسباب الغفلة عن الله وعن الدار الآخرة، فبسببها تضيع الواجبات، وتُرْتكب المحرمات.

نَهَارُكَ يَا مَغْرُورُ سَهْوٌ وَغَفْلَةٌ
وَلَيْلُكَ نَوْمٌ وَالـرَّدَى لَكَ لَازِمُ

وَتَتْعَبُ فِيمَا سَوْفَ تَكرَهُ غِبَّهُ
كَذَلِكَ فِي الدُّنْيَا تَعِيشُ البَهَائِمُ[(١)]

يحرص هؤلاء على لذات الحياة الدنيا بأنواعها وأشكالها، ويَعُبُّ منها ما استطاع حتى يموت قلبه، ويغفل عن ذكر الله ولقائه.

٣- موت الشعور بالذنب:

مات الشعور بالذنب عند الكثير من الغافلين، وذهب الإحساس بالتقصير، حتى لربما يظن بعضهم أنه على خير عظيم، ثم بعد ذلك يفاجأ عند كشف الحساب وجرده.

أَمَا والله لَوْ عَلِمَ الأَنَامُ لِـمَا
خُلِقُوا لَـهَا غَفِلُــوا وَنَامُـوا
لَقَدْ خُلِقُوا لِـمَا لَوْ أَبْصَـرَتْهُ
عُيُونُ قُلُوبِهِمُ تَاهُوا وَهَامُوا

(١) حلية الأولياء (٧/ ٢٢٠).

مَمَاتٌ ثُمَّ قَبْـرٌ ثُــمَّ حَشْـرٌ
وَتَوْبِيخٌ وَأَهْوَالٌ عِظَـــامُ[1]

٤ـ اتباع الهوى:

إن اتباع الهوى يؤدي إلى الغفلة عن الله والدار الآخرة، قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات: ٤٠-٤١].

وقد جعل سبحانه وتعالى اتباع الهوى مضاداً للحق، وعده قسيماً له، كما في قوله تعالى: ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾ [ص: ٢٦].

ومن هنا نعلم بأن الذين يتبعون هواهم إنما يسيرون في طريق الغفلة عن الله والدار الآخرة، فالإنسان مطالب باجتناب هواه حتى لا يكون من أهل الغفلة.

(١) المدهش لابن الجوزي (١٢٢).

٥ ـ العمل وطلب الرزق:

لا شك أن الرجل مأمور بالعمل والتجارة؛ لإعالة نفسه وأهله ومن أمره الله بإعالتهم.

ولكن الخطأ كل الخطأ أن يتحول هذا العمل وهذه التجارة إلى سبب من أسباب الغفلة عن الله والدار الآخرة، فيصبح العمل هو همه الشاغل، وهدفه الأوحد.

والمؤمنون من صفاتهم أنهم لا يغفلون عن الله بسبب تجارة أو عمل، يقول تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [النور: ٣٧].

٦ـ الألعاب والرياضات:

وهي سبب كبيرٌ من أسباب الغفلة، ولذا حذر النبي ﷺ من الانغماس في بعض الألعاب التي كانت موجودة في عصره، وبين أنها سبب للغفلة، عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ

قال: «مَنْ سَكَنَ البَادِيَةَ جَفَا، وَمَنِ اتَّبَعَ الصَّيْدَ غَفَلَ، وَمَنْ أَتَى أَبْوَابَ السُّلْطَانِ افْتُتِنَ»[(١)].

قال الحافظ ابن حجر: (هو محمول على من واظب على ذلك، حتى يشغله عن غيره من المصالح الدينية وغيرها)[(٢)].

فمن اشتغل بهذه الرياضة، وأصبحت همه الشاغل؛ فإن قلبه سيغفل، وسينسى الصلاة، وذكر الله، والطاعة، ولزوم الجماعة، ونحو ذلك.

فإذا كان اتباع الصيد يؤدي إلى الغفلة، مع أن الصيد فيه ما فيه من الفوائد البدنية التي تبني الجسم وتقويه وتعينه على جهاد الأعداء؛ **فما القول في الألعاب الإلكترونية؟!**.

إن الألعاب الإلكترونية في عصرنا من أكبر أسباب الغفلة؛ لأنها من أكبر الملهيات، وما تم اختراعه من أنواع الألعاب كفيل بأن يجعل القلب يعيش في غفلة آباداً ودهوراً.

(١) رواه أبو داود (٢٨٥٩) وصححه الألباني.
(٢) فتح الباري (٩/ ٦٦٢).

بسبب هذه الألعاب الإلكترونية تضيع الأوقات بالساعات، ويهدر العمر إهداراً عظيماً.

والشركات المنتجة لها تتنافس فيما بينها لتحتل ألعابها رفوف الأسواق، فما هي طبيعة هذه الألعاب؟!. وما هي الأوقات التي تستغرقها من عمر أبنائنا وشبابنا؟!.

إن الألعاب الإلكترونية الجديدة لم تعد تنتهي في ساعة أو ساعتين، بل ولا في يوم أو يومين، فبعضها يستغرق أكثر من أسبوع، وبعضها يستغرق أكثر من شهر.

والوصول إلى نهاية اللعبة لا يتحقق من ممارسة اللعبة مرة أو مرتين، بل لابد للاعب من المواظبة الدائمة والمستمرة على اللعبة حتى يصل إلى نهايتها.

وبوصول اللاعب إلى نهاية اللعبة، يعرض صانعوها الجزء الثاني منها في الأسواق، ثم الثالث وهكذا.. كلما انتهى من جزءٍ لحقه الجزء الآخر، وكلما انتهى من لعبةٍ وجد لعبةً أخرى.

وبسبب انهماك الناس في هذه الألعاب استغلت بعض القنوات الفضائية هذا الأمر، فأصبحت هناك قنوات خاصة

بالألعاب الإلكترونية، تعرض آخر الألعاب، وكيفية اللعب بها.

والسؤال المطروح: ما الذي استفاده أبناؤنا من هذه الألعاب؟.

إن أبناءنا لم يستفيدوا شيئاً من هذه الألعاب سوى حرق أعصابهم، وإتلاف أصابعهم، وإضعاف أبصارهم، وشلل تفكيرهم، بالإضافة إلى الغفلة الناتجة عن الجلوس أمام الشاشة لأوقات طويلة جداً.

ويا ليت الأمر اقتصر على هذا، بل إن هذه الألعاب تزرع محبة الشرك وأهله في قلوب أبنائنا.

أرادت إحدى الأمهات أن تمنع ولدها الصغير من اللعب بلعبة من هذه الألعاب الإلكترونية، فإذا بالولد يصيح ويقول: (اتركيني ألعب ولن أدخل إلى الكنيسة مرة أخرى).

ففوجئت الأم بهذا الكلام! ما علاقة الكنيسة باللعبة؟!.

وكانت رمية من غير رامٍ؛ فلقد اكتشفت أن اللاعب في اللعبة إذا حصل له ضعفٌ أو نزل مستوى من المستويات فإنه

يدخل في الكنيسة ليقوي نفسه، وترجع له عافيته، فيستطيع مواصلة اللعب.

فهل سنستهين بعد هذا كله بما فعلته هذه الألعاب بأبنائنا!!.

كم أضاعت هذه الألعاب من الصلوات المتتالية عليهم؟!.

وكم أذهبت من الأعمار والأوقات بغير ذكر لله أو انشغال بطاعته؟!.

ألم تشغل هذه الألعاب أبناءنا عن حفظ القرآن؟!.

ألم تشغلهم عن بر الوالدين؟!.

بل إنها قد شغلتهم عن تناول الوجبات اليومية اللازمة لنموهم وسلامة صحتهم!!.

٧ـ الترفيه والتنعم:

لقد أصبح الترفيه والرفاهية في عصرنا هذا صناعة من الصناعات، وبسببه عاش الناس في غفلة عظيمة.

ذلك الترفيه المشتمل على السفر السياحي، والمطاعم الكبيرة،

والبوفيهات المفتوحة، وتنوع الأطعمة، التي أصبح الناس يستهلكون أوقاتهم في تحضيرها وأكلها.

وانظر إلى الأسواق لترى مدى انشغال الناس في التحضير لوجباتهم اليومية، وذلك بشراء مستلزمات تلك الوجبات.

٨ـ الركون إلى الدنيا:

لاشك أن من أسباب الغفلة حب الدنيا، والركون إليها؛ لأنها تؤدي إلى ترك محاسبة النفس، وتطيل أمل الإنسان، وتمنيه بالأماني الزائفة، وتجعله مُسَوِّفاً في التوبة.

ولو أنه أخرج حب الدنيا من قلبه لما غفل عن الله والدار الآخرة، وَلَعَلِمَ أن الدنيا دار ممر لا دار مقر، ولَمَا استرسل في شهواته وملذاته.

٩ـ مخالطة أهل الغفلة:

مخالطة البطالين من أعظم أسباب الغفلة، قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ [الحشر: ١٩].

قال السعدي: (والحرمان كل الحرمان، أن يغفل العبد عن هذا الأمر، ويشابه قوما نسوا الله وغفلوا عن ذكره والقيام بحقه، وأقبلوا على حظوظ أنفسهم وشهواتها، فلم ينجحوا، ولم يحصلوا على طائل، بل أنساهم الله مصالح أنفسهم، وأغفلهم عن منافعها وفوائدها، فصار أمرهم فرطا، فرجعوا بخسارة الدارين، وغبنوا غبنا، لا يمكنهم تداركه، ولا يجبر كسره، لأنهم هم الفاسقون، الذين خرجوا عن طاعة ربهم وأوضعوا في معاصيه، فهل يستوي من حافظ على تقوى الله ونظر لما قدم لغده، فاستحق جنات النعيم، والعيش السليم - مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين - ومن غفل عن ذكر الله، ونسي حقوقه، فشقي في الدنيا، واستحق العذاب في الآخرة، فالأولون هم الفائزون، والآخرون هم الخاسرون)(١).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٨٥٣).

١٠ـ كثرة المباحات:

وتحصل الغفلة بكثرة الانشغال بالمباحات، لأنها تقسي القلب.

وتأمل في حال الناس اليوم، ترى أن انهماكهم في المباحات جعلهم يغفلون عن الله والدار الآخرة.

فما الذي سيحدث للشخص عندما يغيب في عمله طول النهار، ثم يخرج إلى وجبة الغذاء، ثم يتبع ذلك بالنوم، فإذا استيقظ خرج إلى استراحته، أو إلى النزهة مع أصدقائه أو أهله، حتى ينتهي يومه وهو متنقل بين هذه الأمور المباحة.

فأي عيشة هذه؟!، وماذا يرجى لمن كان هذا برنامجه اليومي؟!.

نماذج مما يغفل عنه الناس

كثُر الغافلون من الناس في عصورنا المتأخرة، وكثُرت الأمور التي يغفل عنها الناس، وحق على المؤمن أن يُذَكِّرَ أخاه المؤمن بهذه الأمور، لعله يتذكر، ويستفيد من هذه الموعظة.

ومن الأمور التي يغفل عنها الناس:

١ـ الغفلة عن تعلم دين الله سبحانه وتعالى:

الجهل بدين الله سبحانه وتعالى سبب لارتكاب الذنوب، والذنوب تقسي القلوب، ومن ثَمَّ يصاب العبد بالغفلة عن الله والدار الآخرة.

فكيف يخاف الحساب من يجهل وجود الصراط والميزان!!.

وكيف يخاف سوء الخاتمة من لا يعلم بأن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء!!.

وهذا الجهل هو الذي يؤدي إلى التفرق بين أهل الإسلام،

ويسبب العيش في عمىً وضلال، وربما أدى إلى ارتكاب الذنوب في حق الأبرياء.

روى القاضي أبو بكر ابن العربي المالكي حكاية تدل على ما يمكن أن يصل إليه الجهل بأصحابه فقال: زار الشيخ الطرطوشي أحد فقهاء عصره من أهل المشرق (الأندلس)، ودخل يصلي في مسجد أحد الثغور، وكان ابن العربي في ذلك المسجد.

فصلى الشيخ الطرطوشي النافلة، وكان يرفع يديه مع تكبيرة الركوع، وعند الرفع منه، وهذا الرفع ثابت عن النبي ﷺ، ولكن هناك رواية مشهورة عند المالكية شاعت في أهل الأندلس: أنه لا رفع في هاتين الحالتين، فلما فعل الشيخ الطرطوشي - وهو ممن يتبع السنة - هذا الأمر وهو مخالفٌ للمشهور من المذهب، استنكر هذا الرفع رئيس البحر، وكان بجانب ابن العربي ينتظر الصلاة، فأمر بعض جنوده أن يقوم إلى الشيخ الطرطوشي فيقتله ويرميه في البحر!!.

قال ابن العربي: فطار قلبي من بين جوارحي، وقلت: سبحان الله! هذا الطرطوشي فقيه الوقت.

فقالوا لي: ولِمَ يرفع يديه؟!.

فأخبرهم أن تلك سنة عن النبي ﷺ، وهي رواية عند المالكية، لكن ليست هي الرواية المشهورة في المذهب، وما زال بهم حتى سكنوا[١].

فتأمل! كيف يمكن أن يصل الجهل بأهل الغفلة إلى أن يستبيحوا دم مسلم!! مع أنه على حق وسنة، كل هذا بسبب الجهل بدين الله تعالى.

٢ـ الغفلة عن كتاب الله تعالى:

فيغفلون عن تعلمه، وتعليمه، وحفظه، مع أن النبي ﷺ رغّب في ذلك كله.

فالماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة.

وحافظ القرآن ترفع درجاته يوم القيامة بحسب حفظه.

والقرآن يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، كما أن قارئ القرآن يشفع لأهله.

---

(١) تفسير القرطبي (١٩/ ٢٨١)، الاعتصام للشاطبي (١/ ٢٧٤) بتصرف.

وغير ذلك من الكرامات التي تنال حافظ القرآن، ومعلمه، ولكن الناس عنها غافلون.

٣ـ الغفلة عن ذكر الله تعالى:

وهو الـزاد الذي يتـزود به المتقـون، ويتوجـه إليه الصالحون.

هو قوت القلوب، وعمار الديار، به تستدفع الآفات، وتستكشف الكربات، وأهله يتقلبون في رياض الجنات.

الذكر عبودية القلب واللسان، وزينة العابدين، وباب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عباده.

وكم من الناس يغفل عن الأذكار المطلقة والمقيدة!!.

فيأتي الصباح ولا يذكر أحدنا أذكاره، وينتهي المساء ولا يذكر أذكاره.

يدخل المسجد ويخرج منه ولا يقول شيئاً.

ويدخل بيته ويخرج منه ولا تتحرك شفتاه بشيء من ذكر الله تعالى.

يسمع نهيق الحمير، وصياح الديكة، ولا يذكر شيئاً من الأذكار المخصصة عند سماع هذه الأصوات ألبتة.

فمن كانت هذه حاله، كيف سيذكر الله إذا حضرت الشهوات المباحة كشهوة الطعام وشهوة النكاح!!.

ومن غفل عن الذكر في مواضع العبادة، فأحرى به أن يغفل عنه في مواضع شهواته.

٤ـ الغفلة عن الأذكار التي تحمي الإنسان:

ينبه الله عز وجل هؤلاء الغافلين عن الأذكار أحياناً بما يصيبهم من المصائب، فيتذكرون هذه الأذكار، حتى يقول بعضهم: يا ليتني ذكرت هذه الأذكار!.

عن خولة بنت حكيم السُّلَمِيَّةِ رضي الله عنها: أنّها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**إِذَا نَزَلَ أَحَدُكُمْ مَنْزِلاً فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ؛ فَإِنَّهُ لَا يَضرُّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْهُ**»(١).

---

(١) رواه مسلم (٢٧٠٨).

قال أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي: (هذا خبر صحيح، وقول صادق، علمنا صدقه دليلاً وتجربةً، فإني منذ سمعت هذا الخبر عملت به، فلم يضرني شيء إلى أن تركته، فلدغتني عقرب بالمهدية ليلاً، فتفكرت في نفسي فإذا بي قد نسيت أن أتعوذ بتلك الكلمات)[١].

وقد سمعت قصة من بعض الناس من أهل المدينة النبوية، مفادها أنه قال هذا الذكر في مكان قبل ذهابه إلى بلده بنحو من ٧٠ كيلاً، فلما وصل إلى بلده وأنزل الغطاء عن رأسه، قال له ولده: ما هذا الشيء الأسود على رأسك يا أبتِ؟. فنفض رأسه، فإذا هو عقرب قد حمله من مسافة ٧٠ كيلاً، قال: فرجوت أن الله حفظني بهذا الذكر، الذي قلته عندما حَلَّ المساء، في ذلك المكان الذي كنت فيه.

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٧/ ٣٦)، ونقلها عنه المناوي في فيض القدير (١/ ٥٧٢).

٥ـ الغفلة عن إعمال النية:

عن عمر بن الخطاب ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِىءٍ مَا نَوَى**»[١].

فالناس قد ينسون نية القيام بالواجب، ولربما أبطل ذلك العمل؛ لأن بعض الأعمال تفتقر في صحتها إلى النية.

وربما غفل الناس عن نية احتساب الأجر، فضيعت هذه الغفلة عليهم أجوراً كثيرة، فإن النية إذا استحضرها العبد في المباحات صارت من محاسن القربات.

فلو احتسب الإنسان الأجر عند شراء أغراض المنزل لنال الأجر العظيم.

وكذلك حينما ينفق على أهله النفقة الواجبة أو غير الواجبة.

عن أبي مسعود الأنصاري ﵁، عن النبي ﷺ قال: «**إِذَا أَنْفَقَ المُسْلِمُ نَفَقَةً عَلَى أَهْلِهِ وَهُوَ يَحْتَسِبُهَا كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً**»[٢].

---

(١) رواه البخاري (١).

(٢) رواه البخاري (٥٥) ومسلم (٥٣٥١).

وربما داعب الإنسان أخاه أو صاحبه مداعبة مباحة، فهي إما أن تكون له إذا نوى بها إدخال السرور على أخيه المسلم، وإما أن تكون لا له ولا عليه إذا لم ينوِ بها شيئاً.

بل إن ملاعبة الرجل امرأته يتحصل بها على الأجر إذا نوى النية الصالحة، وما أكثر ما نغفل عن هذه النية!، عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ**». قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته، ويكون له فيها أجر؟ قال: «**أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضعَهَا فِي حَرَام أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضعَهَا فِي الحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْر**»[١].

قال النووي: (وفي هذا دليل على أن المباحات تصير طاعات بالنيات الصادقات، فالجماع يكون عبادة إذا نوى به قضاء حق الزوجة، ومعاشرتها بالمعروف الذي أمر الله تعالى به، أو طلب ولد صالح، أو إعفاف نفسه، أو إعفاف الزوجة، ومنعهما جميعاً من النظر إلى حرام، أو الفكر فيه، أو الهم به، أو غير ذلك من المقاصد الصالحة)[٢].

---

(١) رواه مسلم (١٠٠٦).
(٢) شرح النووي (٧/ ٩٢).

فربّ عمل صغير تعظمه النية، وربَّ عمل كبير تصغره النية، كما قال ابن المبارك(١).

عن أبي بردة رضي الله عنه قال: بعث النبي ﷺ أبا مُوسَى وَمُعَاذاً رضي الله عنهما إلى اليمن، فانطلقا، فقال معاذ لأبي موسى: كيف تَقْرَأُ القرآن؟ قال: قائماً، وقاعداً، وعلى راحلتي، وَأَتَفَوَّقُهُ تَفَوُّقاً(٢). قال: أما أنا فأنام وأقوم، فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي(٣).

وقوله: (فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي) قال ابن حجر: (أنه يطلب الثواب في الراحة كما يطلبه في التعب؛ لأن الراحة إذا قصد بها الإعانة على العبادة حصّلت الثواب)(٤).

وقال النووي: (معناه: أني أنام بنية القوة، وإجماع النفس للعبادة، وتنشيطها للطاعة، فأرجو في ذلك الأجر، كما أرجو في قومتي، أي: صلواتي)(٥).

(١) الإخلاص والنية (٧٠)، جامع العلوم والحكم (٣/ ١٩).
(٢) أي: ألازم قراءته في جميع الأحوال، عون المعبود (١٢/ ٧).
(٣) رواه البخاري (٤٣٤٥).
(٤) فتح الباري (٨/ ٦٢).
(٥) شرح النووي على مسلم (١٢/ ٢٠٩).

قال ابن القيم حاكياً حال من كان همه الله والدار الآخرة فلا يتقلب إلا في شيء يظهر له فيه مرضاة ربه: (وإن كان من الأفعال العادية الطبيعية قلَبَهُ عبادة بالنية، وقَصَدَ الاستعانة به على مرضاة الرب، وبالجملة: فإنه يقف عند أول الداعي إلى فعله، فيفتشه، ويستخرج منه منفذاً ومسلكاً يسلك به إلى ربه، فينقلب في حقه عبادة وقربة)[(١)].

وخلاصة القول: إن الإنسان يقوم بأعمال كثيرة في اليوم الواحد، يذهب إلى وظيفته، يأكل، يشرب، ينام، يمزح، يتحدث، يبيع، يشتري، يستأجر، كل هذه الأمور لا يخطر على بال أهل الغفلة أن ينووا بها النية الصالحة عند قيامهم بها، أما أهل العبادة فإنهم يقفون عند كل عمل، ويفتشون في قلوبهم عن النية الصالحة التي تُصَحِّح لهم عملهم، وتقلب العمل العادي إلى عبادة.

(١) طريق الهجرتين (٣٣٢).

٦ـ ومن الغفلة ما يكون عن ترتيب الأعمال، وتنزيلها منازلها:

إن العبادات الشرعية متفاوتة الأجر والثواب بعدة اعتبارات، فمنها ما هو أفضل مطلقاً، ومنها ما هو أفضل بحسب الزمان، ومنها ما هو أفضل بحسب المكان وهكذا.

فقراءة القرآن من الأعمال الفاضلة مطلقاً، ولكن عند دخول المسجد يقدم دعاء دخول المسجد على قراءة القرآن، وكذلك عند الخروج من المسجد، وكذلك تقدم أذكار الصباح والمساء على القرآن وهكذا.

كان ابن مسعود رضي الله عنه لا يكاد أن يصوم، ويقول: (إني إذا صمت ضعفت عن الصلاة، والصلاة أحب إلي من الصيام) فإن صام صام ثلاثاً من الشهر[(١)].

والأعمال متعدية النفع أفضل من الأعمال قاصرة النفع على وجه العموم.

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٨٨٦٩)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٣٠٤): رجاله رجال الصحيح.

فتعليم العلم النافع خير من التنفل بالصلاة أو الصيام إن كانا يشغلانه عن التعليم والتدريس.

وقَلَّ من يتنبه لهذا التفاضل فيستغل إبليس هذا الأمر، وينتصر على ابن آدم من جهة إشغاله بالعمل المفضول عن العمل الفاضل، فإن الشيطان ربما أمر بسبعين باباً من أبواب الخير ليتوصل بها إلى باب واحد من الشر، أو ليفوت خيراً عظيماً أعظم من تلك السبعين وأجل؛ كما قال ابن القيم[(١)].

وقال ابن الجوزي: (وإن من تفضيل بعض العلماء: إيثاره للتنفل بالصلاة والصوم عن تصنيف كتاب، أو تعليم علم ينفع؛ لأن ذلك بذر يكثر ريعه، ويمتد زمان نفعه)[(٢)].

توقف ابن عثيمين عن درسه فجأة ذات ليلة، وهو يلقيه كعادته بعد صلاة المغرب، فأطرق الطلاب برؤوسهم، ثم قال: وجدت بقعة من الطلاء (الدهان) على يدي، وقد توضأت ولم أتنبه لها، ثم صليت، ثم جلست للدرس، فاكتشفتها الآن.

---

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٤٨٥) بتصرف يسير.
(٢) صيد الخاطر (٤٢).

فاستأذن الطلبة، وقام، وأزال الطلاء، ثم توضأ وأعاد صلاة المغرب فقط، ولم يتنفل بعدها، ورجع للدرس وأكمله، فسأله أحد الطلاب عن سبب عدم إعادته النافلة أيضاً، فقال: العلم أولى بالمراعاة (لأن نفعه متعدٍ)، والطلاب قد اجتمعوا، والوقت يمضي، وهذا وقت الدرس، أما النافلة فنفعها قاصر على صاحبها.

ولو أمكن الجمع بينهما لجمع، ولكنه رأى أن الدرس أولى من التنفل.

وغفلة الناس ليست مقتصرة على هذه الأمور فقط.

بل هناك الغفلة عن تصحيح النية، وعن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعن دعوة الناس وتربيتهم، وعن النوافل المختلفة كصلاة الضحى والسنن الرواتب والوتر، وعن الجلوس في المسجد بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس، وعن حضور الدروس العلمية والوعظية.

إلى غير ذلك من العبادات التي غفل عنها أكثر الناس.

عقوبات الغفلة

عقوبات الغفلة كثيرة جداً، منها:

١ـ استحقاق العذاب في الدنيا:

قال الله سبحانه تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَـٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣٤-١٣٦] فأغرقهم الله بغفلتهم عن آياته.

٢ـ الصرف عن تدبر آيات الله، وفهمها، والانتفاع بها:

وهذه عقوبة خطيرة جداً، قال تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا

يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٦] أي: لا أتركهم يتدبرونها، ولا يعتبرون بها، وتمر عليهم مروراً دون أن يستفيدوا منها.

قال البيضاوي: (أي: ذلك الصرف بسبب تكذيبهم، وعدم تدبرهم للآيات)[(١)].

وهذه عقوبة بليغة، لكن أهل الغفلة لا يشعرون بها.

والله يجازي أهل الغفلة بغفلة أعظم، جزاء وفاقاً، ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [الصف: ٥]، استحبوا العمى فأعماهم الله عن الحق.

٣ـ حرمان رحمة الله عَزَّ وَجَلَّ:

عن يُسَيْرَةَ رضي الله عنها وكانت من المهاجرات، قالت: قال لنا رسول الله ﷺ: «**عَلَيْكُنَّ بِالتَّسْبِيحِ، وَالتَّهْلِيلِ، وَالتَّقْدِيسِ،**

(١) تفسير البيضاوي (١/ ٣٦٠).

وَاعْقُدْنَ بِالأَنَامِلِ[١]**؛ فَإِنَّهُنَّ مَسْؤُولَاتٍ مُسْتَنْطَقَاتٍ**[٢]**، وَلَا تَغْفُلْنَ فَتَنْسَيْنَ الرَّحْمَةَ»**[٣].

قال القاري: (أي: لا تتركن الذكر؛ فإنكن لو تركتن الذكر لحرمتن ثوابه، فكأنكن تركتن الرحمة)[٤].

٤ـ رد الدعاء وعدم استجابته:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ادْعُوا اللهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ**»[٥].

---

(١) الأَنْمَلَةُ بتثليث الميم والهمزة تسع لغات: التي فيها الظُّفُرُ جمع: أنامِلُ وأنْمُلاتٌ. القاموس المحيط - فصل النون - (١/ ١٣٧٦).

أي: اعقدن التسبيح بالأنامل، فعند كل تسبيحة أطبق الأصبع على الكف، واجعل الأنملة في باطن الكف، فتصبح عقدة.

(٢) مستنطقات: "بفتح الطاء أي متكلمات بخلق النطق فيها فيشهدن لصاحبهن أو عليه بما اكتسبه". عون المعبود (٤/ ٢٥٨).

(٣) رواه الترمذي (٣٥٨٣)، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (٢/ ٢٢).

(٤) تحفة الأحوذي (١٠/ ٣١).

(٥) رواه الترمذي (٣٤٧٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٤٥).

ليكن يقينك بالله كبيراً حال دعائك، ولا تكن كأصحاب القلوب الغافلة، الذين يرفعون أيديهم بالدعاء ثوانيَ معدودات، لا يدرون ماذا قالوا، وبماذا دعَوا!.

أو كمن يُؤَمِّن مع الإمام وهو لا يفقه شيئاً من دعائه!.

فكيف يُقبل دعاء من هذا حاله ؟!.

٥ ـ تسليط الشياطين على الغافل:

إذا دخل الرجل بيته، وغفل عن ذكر الله، فإن الشيطان يُسلط عليه، ويدخل بيته معه، ويبيت معه.

وإذا أكل طعامه وغفل عن ذكر الله أكل معه الشيطان.

عن جابر رضي الله عنه: أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ الله عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ الله عِنْدَ دُخُولِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ المَبِيتَ. وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ الله عِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ: أَدْرَكْتُم المَبِيتَ وَالعَشَاءَ**»[(١)].

---

(١) رواه مسلم (٢٠١٨).

٦ـ تتابع الغفلات:

فإن الغفلة تجر أختها، والثانية تجر الثالثة، وهكذا، حتى يقع الإنسان في مستنقع الشهوات، ولا يستطيع الخروج منه، ما لم يتداركه الله برحمةٍ منه وفضل.

وكم من صاحب معاصٍ وفسوق كانت بدايته بغفلة لم يقاومها، ولم يتب منها!.

٧ـ سوء الخاتمة:

إن الغفلة تؤدي إلى الموت على ما يكرهه الله سبحانه وتعالى، وهذا له أمثلة كثيرة، وقصص متنوعة واقعية، لأناس غفلوا عن ذكر الله، فكانت نهاياتهم شقية، وخاتمتهم سيئة في هذه الدنيا، وهذا من أعظم آفات الغفلة.

٨ـ الحسرة في الآخرة:

من أسماء يوم القيامة: يوم الحسرة؛ وذلك لتحسر أهل الغفلة فيه، وندمهم على ترك الصالحات، ولكن هيهات هيهات أن ينفع الندم في ذلك الوقت.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**مَنْ قَعَدَ مَقْعَداً لَمْ يَذْكُرِ الله تَعَالَى فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ الله تِرَةٌ، وَمَنِ اضطَجَعَ مَضْجَعاً لَا يَذْكُرِ الله فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ الله تِرَةٌ**»(١).

والترة: الحسرة والندامة.

٩ـ وأشد العقوبات التي تقع على أهل الغفلة دخول النار:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ٧ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [يونس: ٧-٨].

وقال جَلَّ شأنه: ﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٧].

وقال عز وجل: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ

(١) رواه أبو داود (٤٨٥٦)، وصححه الألباني.

ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

فهؤلاء الغافلون قست قلوبهم عن الاعتبار والاتعاظ والتدبر والتفكر، وعميت بصائرهم عن إدراك الحق، وصُمَّتْ آذانهم عن سماع الحق، ولذلك كانوا كالأنعام بل هم أضل، أولئك هم الغافلون.

وسيقال لكل غافل في موقف الحساب يوم القيامة: ﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ [ق: ٢٢]، أي: لقد كنت في غشاوة، لا ترى ما بعد الموت، ولا تحسب له حساباً، ولا تتهيأ له، ولا تفكر فيه، فكشفنا عنك الغطاء بقبض روحك، ورأيت الأهوال وعاينتها، فمن شدة الخوف بصرك لا يزيغ يمنة ولا يسرة، بل هو مثبَّت مكانه من الهول.

إن عاقبة الغفلة ليست هيّنة أبداً، بل إنها قد تعود على صاحبها بخسارة الدارين، نسأل الله السلامة والعافية.

علاج الغفلة

إن قال قائل: ما علاج الغفلة، وكيف ننجو منها؟.

علاج الغفلة يكون بأمور عدة:

١ـ بالذكر:

قال الله تعالى: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

إن الذكر له مفعول قوي في مواجهة الغفلة، وهو من أكبر الأسباب المخرجة للمسلم عن حيز الغفلة، وعلى قدر غفلة العبد عن الذكر يكون بعده عن الله، وعلى قدر إقباله على الذكر وانشغاله به تكون حياة قلبه وزوال غفلته.

٢ـ بالدعاء:

فالدعاء بزوال الغفلة يعين على التغلب عليها، خاصة إذا

استعاذ الإنسان بالأدعية الصحيحة الواردة عن النبي ﷺ في هذا الشأن.

عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يدعو يقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ، وَالكَسَلِ، وَالبُخْلِ، وَالهَرَمِ، وَالقَسْوَةِ، وَالغَفْلَةِ، وَالذِّلَّةِ، وَالمَسْكَنَةِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الفَقْرِ، وَالكُفْرِ، وَالشِّرْكِ، وَالنِّفَاقِ، وَالسُّمْعَةِ، وَالرِّيَاءِ...** »[(١)].

٣ـ بقيام الليل:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ القَانِتِينَ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ المُقَنْطِرِينَ**»[(٢)].

---

(١) رواه ابن حبان (١٠٢٣) والحاكم (١٩٤٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٢٨٥).

(٢) رواه أبو داود (١٣٩٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤٣٩).

٤ـ بزيارة القبور:

فزيارة القبور مما يزيل الغفلة، ويذهب الغشاوة عن الغافلين.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ عن زيارة القبور، ثم قال رسول الله ﷺ بعد ذلك: «**أَلَا إِنِّي قَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ ثَلَاثٍ، ثُمَّ بَدَا لِي فِيْهِنَّ: نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ القُبُورِ، ثُمَّ بَدَا لِي أَنَّهَا تُرِقُّ القَلْبَ، وَتُدْمِعُ العَيْنَ، وَتُذَكِّرُ الآخِرَةَ، فَزُورُوهَا**»[(١)].

وكان من وصية الشيخ عبد العزيز بن باز لبعض من سأله عن الغافلين: أن يصطحبوهم لزيارة القبور، وعَدَّ ذلك من التعاون على البر والتقوى.

٥ـ بتدبر حال الدنيا:

لأن من تدبر حال الدنيا وجد أن مسراتها يشوبها الكدر، ولذاتها منغصة.

---

(١) رواه أحمد (١٣٠٧٥) وصححه الألباني.

بينما الإنسان في عز ودعة وهناء إذا بالبؤس يهجم عليه، وإذا بالشقاء يحل بساحته، فيصبح فقيراً بعد غنى، ذليلاً بعد عز.

وقد يأتيه الموت، فيخرج من الدنيا محمولاً على الأعناق، ثم يوسد التراب، ويترك لمصيره.

فما عيبت الدنيا بأكثر من فنائها، و تقلب أحوالها، وهو أدل دليل على انقضائها وزوالها، فتتبدل صحتها بالسقم، ووجودها بالعدم، وشبيبتها بالهرم، ونعيمها بالبؤس، وحياتها بالموت، وعمارتها بالخراب، واجتماعها بافتراق.

قالت هند بنت النعمان: (لقد رأيتنا ونحن من أعز الناس، وأشدهم ملكاً، ثم لم تغب الشمس حتى رأيتنا ونحن أقل الناس.... وسألها رجل أن تحدثه عن أمرها فقالت: أصبحنا ذا صباح وما في العرب أحد إلا يرجونا، ثم أمسينا وما في العرب أحد إلا يرحمنا)[١].

(١) زاد المعاد (٤/ ١٧٣).

فانظر كيف كان حالهم في الصباح!! وإلى ماذا صار في المساء!!إنها عبرة وعظة فهل من معتبر؟.

ودخلت عبادة أم جعفر البرمكي على أناس في يوم عيد أضحى، تستمنحهم جلد كبش تستدفئ به، فسألوها عما كانت فيه من النعمة، فقالت: (لقد أصبحت في مثل هذا اليوم وإن على رأسي أربعمائة وصيفة، وأقول: إن ابني جعفر عاق لي)[(١)].

كان هذا حالها في أحد الأعياد! وفي العيد الذي يليه أصبحت تطلب الناس جلداً تستدفئ به.

وقال بعض الصالحين: مررت بدار من دور الكوفة غداة، فسمعت جارية تنادي من داخل الدار:

أَلَا يَا دَارُ لَا يَدْخُلـكِ حُـزْنٌ
وَلَا يَذْهَـب بِسَاكِنِـكِ الزَّمَـانُ

ثم مررت بعد ذلك بالدار، فإذا الباب وقد علته كآبة

(١) البداية والنهاية (١٠/ ٢١٣).

ووحشة، فقلت: ما شأنهم؟. قالوا: مات سيدهم، مات رب الدار.

فوقفت على باب الدار، فقرعته، وقلت: إني سمعت من ههنا صوت جارية تقول:

أَلَا يَا دَارُ لَا يَدْخُلكِ حُزْنٌ
وَلَا يَذْهَب بِسَاكِنِكِ الزَّمَانُ

فبكت امرأة من الدار وقالت: يا عبد الله، إن الله تعالى يُغَيِّر ولا يُغَيَّر، والموت غاية كل مخلوق.

فرجعتُ والله من عندهم باكياً[(١)].

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: وفدني أبو بكر الصديق رضي الله عنه في عشرة من العرب إلى اليمن، فبينا نحن ذات يوم نسير إذ مررنا إلى جانب قرية أعجبنا عمارتها، فقال بعض أصحابنا: لو ملنا إليها.

(١) الاعتبار لابن أبي الدنيا (٣٥).

فدخلنا، فإذا هي قرية من أحسن ما رأيت، وإذا قصر أبيض بفنائه شيب وشبان، وإذا جارية بيدها دف تضربه وتقول:

مَعْشَرَ الحُسَّادِ مُوتُــوا كَمَــدَا
كَذَا نَكـونُ مَا بَقِينَــا أَبَــدَا

وإذا غدير من ماء، وإذا سرج ممدود كثير المواشي والإبل والبقر والخيل والأفلاء، وإذا قصور مستديرة، فقلت لأصحابنا: لو وضعنا رحالنا، فتأخذ العيون مما ترى حظاً، وتقضي النفوس منه وطراً. فبينا نضع رحالنا إذ أقبل قوم من قبل القصر الأبيض، على أعناقهم البسط، فبسطوا لنا، ثم مالوا علينا بأطايب الطعام وألوان الأشربة، فاسترحنا وأرحنا، ثم نهضنا للرحلة، فأقبل القوم وقالوا: إن سيد هذه القرية يقرؤكم السلام، ويقول: اعذروني على تقصير إن كان مني، فإني مشغول بعرس لنا. فدعونا لهم، فعمدوا إلى ما بقي من ذلك الطعام، فملؤوا منه سفرنا، فقضيت سفري ورجعت.

فغبرت برهة من الدهر، ثم وفدني معاوية رضي الله عنه في عشرة من العرب ليس معي أحد ممن كان في الوفد، فبينا أحدثهم

بحديث القرية وأهلها إذ قال رجل منهم: أليس هذا الطريق الآخذ إليها. فانتهينا إليها؟ فإذا هي دكادك وتلول، وأما القصور فخراب ما يبين منها إلا الرسوم، وأما الغدير فليس فيه قطرة من الماء، وأما السرج فقد عفا ودثر أمره.

فبينا نحن وقوف متعجبون إذ لاح لنا شخص من ناحية القصر الأبيض، فقلت لبعض الغلمان: انطلق حتى نستبرىء ذلك الشخص. فعاد مرعوباً، فقلت له: ما وراءك؟ فقال: أتيت ذلك الشخص، فإذا عجوز عمياء، فراعتني.

فلما سَمِعَتْ حسي قالت: أسألك بالذي بَلَّغَك سالماً إلا أخذت على عينك، ورحت حتى دخلت في التل. ثم قالت: سل عما بدا لك.

قلت: ما فعل أبوك وقومك؟ قالت: ماتوا، وبقيت بعدهم.

قلت: هل تذكرين زماناً كان لكم فيه عرس، وإذا جارية بيدها دف تضرب به وتقول:

معشر الحساد موتوا كمداً　　　كـذا نكون مـا بقينـا

فشهقت، واستعبرت، وقالت: والله إني لأذكر ذلك العام والشهر واليوم والعرس، كانت أختي، وأنا صاحبة الدف.

فلم تزل تحدثنا حتى مالت، فنزعت نزعاً يسيراً وماتت(١).

إن حب الدنيا هو الذي عمَّر النار بأهلها، والزهد فيها هو الذي عمَّر الجنة بأهلها.

الدنيا خمر الشيطان، من سكر منها لا يفيق إلا في عسكر الموتى نادماً بين الخاسرين.

ما أصبح أحد في الدنيا إلا ضيف، وماله عارية، فالضيف مرتحل والعارية مؤداة.

حب الدنيا رأس الخطايا؛ لأن حبها يقتضي تعظيمها وهي حقيرة عند الله، والله لعنها ومقتها، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا ذِكْرَ الله وَمَا وَالَاهُ، أَوْ عَالِماً، أَوْ مُتَعَلِّماً**»(٢)، ومحبتها تضر بالآخرة.

---

(١) الاعتبار لابن أبي الدنيا (٤٧).

(٢) رواه الترمذي (٢٣٢٢) وابن ماجة (٤١١٢)، وحسنه الألباني.

الدنيا والآخرة ضرتان، إذا أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى ولابُدّ.

محبة الدنيا تعترض بين العبد وبين فعل ما يعود بالنفع في الآخرة، ولذلك من الغفلة الشديدة أن يتعب الإنسان في تحصيل الدنيا، ويبني للخراب، وهو يعرف أن المصير سيكون الفناء والزوال، ما شبَّهت الدنيا -كما يقول يونس بن عبد الأعلى- (إلا كرجل نام فرأى في منامه ما يحب وما يكره، فبينما هو كذلك إذ انتبه)[١]، وهذا الانتباه هو الموت.

فليحذر العبد هذه الدنيا الغرارة الخداعة، سرورها مشوب بالحزن، وصفوها مشوب بالكدر، فلو كان الخالق لم يخبر عنها خبراً ولم يضرب لها مثلاً؛ لكانت قد أيقظت النائم ونبهت الغافل، فكيف وقد بَيَّنَ لنا بأنها لاتزن عنده جناح بعوضة، أفيظن المغرور أن هذه الدنيا للبقاء؟!.

(١) عدة الصابرين (١٩٠).

٦ـ بذكر الجنة والنار:

فالجنة دار لا يموت سكانها، ولا يخرب بنيانها، ولا يهرم شبابها، ولا يتغير حسنها وإحسانها.

هواؤها النسيم، وشرابها مزاجه من تسنيم.

يتقلب أهلها في رحمة أرحم الراحمين، ويتمتعون بالنظر إلى وجهه في كل حين، دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين.

في نعيم الجنة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

هذه الجنة أعدها الله تعالى لأهل طاعته، متكئين على سرر مصفوفة، ويسقون من رحيم مختوم، تعرف في وجوههم نضرة النعيم.

ماذا يشربون؟.

يشربون من ماء وخمر ولبن وعسل.

خمرهم لا كخمر الدنيا، بيضاء لذة للشاربين.

بأي شيء محفوفون؟.

بالغلمان والولدان المخلدون.

من أزواجهم؟.

الحور العين، كأنهن الياقوت والمرجان، ولم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان، آمنات من الهرم، مقصورات في الخيام.

من الذي يدخل عليهم؟.

الملائكة، يدخلون عليهم طيبين من كل باب، فيسلمون عليهم.

وكيف يُقْدَرُ قدر دار خلقها الله بيده، وجعلها مقراً لأحبابه، وملأها من رحمته وكرامته، ووصف نعيمها بالفوز العظيم، وملكها بالملك الكبير، وطهرها من كل عيب؟!.

إن سألت عن أرضها فهو المسك والزعفران، وإن سألت عن سقفها فهو عرش الرحمن، وإن سألت عن حصبائها فهو اللؤلؤ والجواهر، وإن سألت عن بنيانها فلبنة من فضة ولبنة من ذهب، وإن سألت عن أشجارها فما فيها شجرة إلا وساقها من ذهب، وإن سألت عن ثمارها فهي ألين من الزبد وأحلى من العسل، وإن سألت عن ورقها فأحسن ما يكون من رقائق الحلل، وهكذا أنهارها لم تتغير، ونساؤها مطهرات.

جمع الله تعالى لأهلها بين نعيم البدن ونعيم النفس، فنفوسهم منعمة، وأبدانهم منعمة، وهم في هذا النعيم المقيم لا يشيبون ولا يهرمون.

فالتأمل في نعيم الجنة يطرد الغفلة.

وكذلك تأمل ما أعدّ الله من العذاب والنكال لأهل النار يطرد الغفلة.

فالصخرة العظيمة تلقى من شفير جهنم تهوي فيها سبعين خريفاً!

وليتأمل العبد حال أهل النار الذين شدت أقدامهم إلى النواصي، واسودت وجوههم من ظلمة المعاصي، ينادون من أكنافها، ويصيحون في نواحيها: يا مالك قد حق علينا الوعيد، يا مالك قد نضجت منا الجلود، يا مالك أخرجنا منها فإنا لا نعود.

فيقال لهم: هيهات هيهات، لا خروج لكم من دار الهوان، فاخسؤوا فيها ولا تكلمون.

فعند ذلك يقنطون، وعلى ما فرطوا في جنب الله يتأسفون، لا ينجيهم الندم، ولا يغنيهم الأسف، بل يكبهم في النار،

فيهتفون بالويل والعويل، ومهما دعوا بالثبور يصب من فوق رؤوسهم الحميم، يصهر به ما في بطونهم والجلود، ولهم مقامع من حديد.

تنقطع من العطش أكبادهم، وتسيل على الخدود أحداقهم، وتسقط من الوجنات لحومها، وهم مع ذلك يتمنون الموت فلا يموتون.

ترمي النار بشرر كالقصر، حجم الشرار منها كالقصر الكبير، فكيف بطرف اللهب؟! فكيف باللهب نفسه؟!.

هذه النار سبعون ضعفاً من نار الدنيا، يتجرع الكافر ما فيها ولا يكاد يسيغه، يتمنى الموت ويأتيه من كل مكان وما هو بميت، سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار.

لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل.

وغير هذا العذاب الجسدي فهناك عذاب معنوي، فكلما دخلت أمة لعنت أختها.

وتلومهم الملائكة على تقصيرهم وتفريطهم في الحياة الدنيا.

الخاتمة

قال ابن القيم: (إن مجالس الذكر مجالس الملائكة، ومجالس اللغو والغفلة مجالس الشياطين، فليتخير العبد أعجبهما إليه، وأولاهما به، فهو مع أهله في الدنيا والآخرة)[(١)].

إن زماننا هذا هو زمن الغفلة، وإذا أردت أن تتأكد من هذا فسِرْ في أرض الله وتأمل فيها وفي ساكنيها ماذا عساك أن ترى؟.

سترى أمامك محلات للألعاب، وملاهي، ودكاكين متخصصة في القنوات الفضائية والترفيه.. إلخ.

ثم بعد ذلك قارن بينها وبين أماكن العبادة، وحلقات العلم. وسترى أن ما يلهي عن الله والدار الآخرة أكثر بكثير.

والذي يضحي ويترك أماكن اللهو والغفلة ويجالس الصالحين في بيوت الله وحلقات العلم سيكرمه ربه بالجزاء

(١) الوابل الصيب (٦٥).

العظيم بسبب هذه التضحية؛ لأنه كلما كثرت الجواذب والمغريات وقاومها الإنسان كان أجره أكبر، ولذلك كان أجر الصالحين في آخر الزمان أكثر بسبب أنهم يقاومون المغريات والفتن المتنوعة.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يعيذنا من الغفلة وأسبابها وسبلها، وأن يعيذنا من خاتمة السوء، وأن يرزقنا ذكره وشكره، وأن يعيننا على حسن عبادته، إنه سميع مجيب.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



اختبر فهمك

بين يديك مستويين من الأسئلة، أسئلة مباشرة وأخرى تحتاج منك إلى تأمل وإمعان نظر.

أسئلة المستوى الأول المباشرة:

١- اذكر تعريف الغفلة لغة واصطلاحاً.

٢- ما هي أنواع الغفلة؟.

٣- للغفلة المذمومة ثلاثة أقسام، فما هي؟.

٤- ما هي أسباب الغفلة؟.

أسئلة المستوى الثاني الاستنباطية:

١- مما يغفل عنه الناس (إعمال النية)، وضح ذلك.

٢- جاء في ثنايا الكتاب مقولة طفل لأمه (اتركيني ألعب ولن أدخل الكنيسة مرة أخرى)،فما مناسبة هذا القول؟.

٣- بماذا يعاقب الغافل في الدنيا؟.

٤- بماذا يعاقب الغافل في الآخرة؟.

٥- ما هو أقوى علاج للغفلة؟.

المحتويات